



WORLD CULTURES & EDUCATION

الصين قبل الصمت

رحلة في بكين بين الدهشة والتأمل عام ٢٠١٨

من أدب الرحلات

د. وجيه الجوهري

أدب الرحلات

الصين قبل الصمت

رحلة في بكين بين الدهشة والتأمل عام ٢٠١٨

د. وجيه الجوهري

© ٢٠٢٦ د. وجيه الجوهري

مؤسسة ثقافات العالم والتعليم WCE

تعود هذه الرحلة إلى زيارة بكين عام ٢٠١٨. تُقرأ الإشارات إلى التطبيقات ووسائل الدفع والفنادق والمرافق في سياق زمنها وتجربة صاحبها، لا بوصفها دليلاً للإجراءات الحالية.

الآراء والانطباعات شخصية، ولا تمثل حكماً على جميع سكان الصين أو مناطقها.

لوحات الكتاب التوضيحية مختارة من المخطوط الذي قدمه المؤلف؛ ولا تُنسب إلى تصويره الشخصي. صورة الغلاف من مجموعة WCE الفنية.

mywce.org · DrE@mywce.org

المحتويات

4	كلمة قبل الرحلة
5	١ سماء تبحث عن شمس
6	٢ في مجال عدسات المدينة
8	٣ إنترنت خارج عاداتي
9	٤ صمت المدينة المحرمة
10	٥ السور والزائر
12	٦ في الأزقة القديمة
13	٧ حديث أغلى من الشاي
14	٨ كلمة تضيء قائمة الطعام
16	٩ الألفة بمذاق مختلف
17	١٠ تعلّم المدينة تحت الأرض
18	١١ غريب روماني وسيارة منتظرة
19	١٢ الفندق وجواز السفر
21	١٣ على حافة مدينة الدفع الرقبي
22	١٤ الجسد وتوقعاته
23	١٥ القواعد الهادئة بين الناس
24	١٦ ما وراء الصمت
25	كلمات بقيت في الذاكرة
26	عن المؤلف

بكين ٢٠١٨

كلمة قبل الرحلة

ذهبت إلى بكين عام ٢٠١٨ أحمل عادات المعلم، وعين الفنان، وثقة من اعتاد التفكير في الثقافة ومقارنة طرق العيش. كنت أتوقع الاختلاف، لكنني لم أقدر كيف تستطيع تفاصيل عادية أن تربك تلك الثقة. قراءة قائمة طعام، أو طلب سيارة، أو تسجيل الدخول في فندق، مهام صغيرة قد تتطلب انتباهاً يفوق ما يتطلبه الوقوف أمام معلم شهير.

تتحرك هذه الرحلة بين مستويين: المعالم الكبرى، والمفاوضات الصغيرة التي تجري في الحياة اليومية. المدينة المحرمة وسور الصين يجاوران المترو ومائدة المطعم والغريب الذي يساعد حين يعجز التطبيق. ومن اجتماع هذه المشاهد تكون بكين التي بقيت في ذاكرتي.

تجمع الصفحات التالية تجارب الرحلة وتأملاتها في سرد واحد. لا أتحدث باسم كل مسافر، ولا أخترل الصينيين في انطباع شخصي. كانت بكين أوسع من تجربتي، وكانت التجربة أغنى من أي تفسير منفرد. إنها حكاية مسافر تعلم أن ينظر بعناية أكبر، وأن يوجه بعض ذلك النظر إلى نفسه.

١ سماء تبحث عن شمس

لم يكن أول انطباع قوي عن بكين مبنى أو شارعاً، بل السماء. طبقة رمادية تخفف حدة الأفق، وتجعل المدينة تبدو كأنها تتردد في الكشف عن ملامحها. تساءلت إن كانت حالة عابرة، أم أن الرحلة كلها ستمضي تحت هذا الغطاء.

حولى كانت الحياة تستمر. يمشي الناس إلى مقاصدهم، ويرتدي بعضهم الكمامات. ما استوقفني لم يكن يوقفهم. أدركت أن المسافر قد يدخل شارعاً معتقداً أن دهشته أهم ما يحدث فيه، بينما لدى الشارع أعمال أخرى ينبغي إنجازها.

في الخارج شعرت بثقل الهواء. وعاد إليّ سؤال نصف جاد: هل ترى بكين الشمس؟ كان انفعال مسافر في أيام بعينها، لا حكماً على فصول المدينة. لكنه منح الرحلة لونها النفسي الأول، وأيقظ انتباهي إلى أثر البيئة في إحساس الغريب بالمكان.

بعد وقت قصير خفت دهشتي. لم تتبدل المدينة فجأة من أجلي؛ الذي تبدل كان توقعي. وسوف يتكرر هذا التحول في مواقف كثيرة. قبل أن أتعلّم الطريق أو أفهم لافته، كان عليّ أن أقبل أن الألفة لن تستقبلني عند باب المطار.

بكين ٢٠١٨

٢ في مجال عدسات المدينة

كان من الصعب ألا ألاحظ الكاميرات. على الأعمدة، وواجهات المباني، وفي المحطات؛ تدخل العدسات في اللغة البصرية للمدينة. في البداية استقبلت كل واحدة بتردد داخلي صغير، وبوعي بأنني ظاهر للعين على نحو لم أعتد التفكير فيه بهذا التكرار.

ومع الحركة في بكين، جاور ذلك القلق انطباع آخر: انتظام المجال العام. تتشكل الطواوير، وتجد الجموع اتجاهاتها، وتعمل أماكن مزدحمة بكفاءة تستحق الانتباه. كنت أشعر بالاطمئنان في المكان المنظم، ثم أتساءل عن الشروط التي يتحقق بها هذا الاطمئنان.

لم يكن بوسعي أن أعرف، بمجرد النظر إلى شارع، كيف يفهم كل شخص فيه حضور الكاميرات. ما أستطيع وصفه هو استجابتي أنا. تداخل سؤال الظهور مع سؤال الأمان، ولم أجد لأي منهما جواباً بسيطاً.

اعتاد المعلم مراقبة السلوك ومحاولة فهمه. ذكرني السفر باختلاف الشعور حين يتأمل المرء نفسه بوصفه موضوعاً للملاحظة. تبدل موقعي؛ أدرس المكان، وفي الوقت نفسه أتبّه إلى الطريقة التي ينظم بها المكان حركتي.



المسافة والتناظر في المدينة المحرمة

٣ إنترنت خارج عاداتي

كان الارتباك الرقمي أقرب إلى النفس مما توقعت. قد يستعد المسافر للغة لا يعرفها، ثم يفترض أن الشاشة المألوفة في يده ستظل رفيقاً يعتمد عليه. في بكين لم تعمل التطبيقات التي اعتدت استخدامها كما توقعت. لم يكن جوجل متاحاً لي، ولم يمنحني واتساب والبريد الإلكتروني الاستمرارية التي حسبتها مضمونة.

لم تكن المدينة المحيطة بي غائبة عن العالم الرقمي؛ بل كانت تطبيقاتها ووسائل الدفع فيها حاضرة في تفاصيل الحياة. الانقطاع كان انقطاعي أنا. حملت أدوات مألوفة إلى بيئة مختلفة، وخلطت للحظة بين حدود أدواتي وحدود المكان.

غير هذا الفارق فهمي للمشكلة. صرت أتعرف إلى أسماء مثل ويتشات وأليباي، وأفكر في الترجمة والعناوين المحفوظة، وأراجع اعتقادي بأن امتلاك الهاتف وحده يعني الاستعداد.

تخص هذه التفاصيل رحلتي عام ٢٠١٨. أما ما بقي منها فهو أن الثقة التقنية قد تكون محلية جداً. يمكن للمرء أن يكون متمكناً في بلده، ثم يجد نفسه محتاجاً إلى المساعدة في بلد آخر، من دون أن يكون أحد البلدين بسيطاً أو متخلفاً.

٤ صمت المدينة المحرمة

في المدينة المحرمة بدت العمارة قادرة على الكلام قبل أن يقدم أحد شرحاً. التكرار والتناظر والعلاقة المقصودة بين الفراغ والمباني تقود العين. وجدت نفسي أقرأ المسافة والحجم كأنهما جملتان في نص طويل.

بوصفي فناناً جذبتني عناصر التكوين. وبوصفي مهتماً بالثقافة تساءلت عن السلطة التي يعبر عنها ذلك التكوين. يمر الزائر داخل ترتيب يرسم الفوارق: الداخل والخارج، الاقتراب والوصول، جسد الفرد والنظام الأكبر المحيط به.

لم أحتج إلى اختزال المكان في درس سياسي حتى أشعر بقوته. كان الجمال حاضراً لذاته. لكن الجمال والسلطة لم يكونا تجربتين منفصلتين في إحساسي هناك؛ كأن انضباط النسب يمنح كلاً منهما قوة إضافية.

بعد ارتباطات السفر العملية، أتاح المكان نوعاً آخر من القراءة. تستطيع المدينة أن تربكني بقائمة طعام أو تطبيق، وتستطيع أيضاً أن تخاطبني بالفراغ. خرجت من هذه المواجهة أكثر انتباهاً إلى الطرق التي تجعل بها الثقافة أفكارها مرئية، من دون أن تكتبها على لافتة.

بكين ٢٠١٨

٥ السور والزائر

وصل سور الصين إلى مخيلتي قبل أن أصل إليه، كما تفعل الأماكن الشهيرة غالباً. تهيئنا الصور لرؤية المعلم، لكنها لا تهيئنا دائماً لصحبة الزائرين، أو لما يطلبه الطريق من الجسد، أو للحياة التجارية التي تنشأ حول مشهد ذائع الصيت.

كان السور مهيباً. لم تختف هذه الحقيقة لأن الزيارة تضمنت زحاماً وباعة وجهداً بدنياً. اجتمعت العظمة والمشقة في اليوم نفسه. كانت التجربة أقل صفاء من الصورة التي حملتها، لكنها أغنى لأنها رفضت أن تبقى مجرد صورة.

انتبهت إلى الفارق بين مشاهدة معلم واستهلاك شهرته. حتى الرغبة في لقاء خال من الآخرين قد تكون خيلاً خاصاً بالسائح. كنت واحداً ممن جاءوا لأن المكان مشهور؛ فكيف أطلب من سائر القادمين أن يختفوا لكي تبدو زيارتي وحدها أكثر أصالة؟

بقيت معي ضرورة الجمع بين الشعورين: الإعجاب بالمعلم، والصبر على ظروف زيارته. يضيق السفر حين نسمح للضييق من الزحام أن يحو الشيء الذي قطعنا الطريق من أجله.



بكين ٢٠١٨

٦ في الأزقة القديمة

قدمت أزقة الهوتونغ مقياساً مختلفاً لبكين. بعد الفضاءات الرسمية وقوة الحركة الحديثة، أعادت الأزقة القديمة انتباهي إلى القرب: علاقة الممر بالباب، وعلاقة الحي بالناس الذين يعبرونه.

وصفتها ملاحظاتي الأولى بأنها الموضع الذي تتنفس فيه الصين. كانت العبارة تعبر عن ارتياحي إلى مدينة أكثر حميمية، لكنها تحتاج إلى احتراس. ليست الشوارع الحديثة أقل حقيقة لأنها سريعة، ولا يوجد الحي القديم كي يؤدي دور الأصالة أمام الزائر.

ما أحببته هو تغير الانتباه. هنا تراجعت رغبتني في إحصاء المنجزات، وتقدمت رغبتني في ملاحظة الحضور الإنساني العادي. يدعو المقياس إلى التأمل بدل الاندفاع نحو الوجهة الشهيرة التالية.

عقدت الأزقة الصورة التي بدأت أرسمها لبكين في ذهني. لم تكن المدينة نظاماً واحداً ذا مزاج واحد؛ كانت تضم إيقاعات متعددة، ودرجات من الحميمية، وطرقاً مختلفة لشغل المكان. السير بينها يعني إرخاء التفسير الأول، وإفساح المجال لتفسير آخر.

٧ حديث أغلى من الشاي

بدأ الأمر بسؤال من شابة أرادت أن تمارس الإنجليزية معي. مس السؤال شيئاً مألوفاً في نفسي؛ فأنا أدرس اللغة وأقدر اللقاءات التي تتيحها. تحدثنا عن التعليم والسفر والثقافة، ورحبت بما بدا تبادلاً بسيطاً لا تعقيد فيه.

ثم جاء اقتراح استكمال الحديث على الشاي. داخل المكان منحت الأكواب الصغيرة والحركات المحسوبة اللقاء طابعاً احتفالياً. سرّني أن أظن أن حديثاً عابراً فتح لي باباً إلى الثقافة المحلية.

غيرت الفاتورة معنى كل شيء. كان المبلغ أعلى كثيراً مما توقعت. انحسر دفء الحديث وحل محله الضغط، واكتسب المشهد الذي قرأته ضيافة معنى آخر. لا حاجة إلى رقم كي أصف الحرج؛ كان الاكتشاف المؤلم هو مقدار ثقتي في أن جمال المكان يكفي ضماناً لعدالة الحساب.

استطعت بعد ذلك أن أسخر من الموقف: لم يكن هذا ثمن شاي، بل مصروفات درس. لكن المزحة لم تلغ الدرس. يحتاج الفضول إلى حدود. السؤال عن السعر لا يهين الثقافة، ورفض دعوة لا يجعل المسافر عدواً للتواصل الإنساني. لقد خلطت بين الانفتاح وتعليق الحكم، ولو إلى حين.

٨ كلمة تضيء قائمة الطعام

الجوع بسيط إلى أن تصبح قائمة الطعام غير بسيطة. كنت أنظر إلى الطعام في بكين بفضول، ثم أتردد أمام مكوناته. وحيث تقل الإنجليزية ويصعب السؤال، يتحول الطلب إلى مشكلة تواصل قبل أن يكون مسألة مذاق.

جعلت التزاماتي الغذائية الوضع أكثر أهمية. صارت كلمة «تشينغ تشن»، الدالة على الطعام الحلال، علامة أستدل بها. وأتاح لي محيط مسجد نيوجيه أن أربط البحث عن وجبة بوجود الحياة الإسلامية في المدينة.

لم أرد أن تتحول كل وجبة إلى جدال مع المجهول. اختيار أماكن يسهل فيها فهم أسئلتي خفف هذا العبء. ربما ضيق بعض الخيارات، لكنه منحني ثقة أكبر، وأعاد انتباهي إلى الرحلة بدل أن يستنزفه في القلق من كل طبق.

كان في هذا القرار العملي درس ثقافي. لا يلتقي المسافر المطبخ بوصفه قائمة محايدة من الأطباق؛ فالدين واللغة والعادة والفضول والإرهاق تجلس جميعاً إلى المائدة. كانت اختياراتي تروي شيئاً عني أيضاً، لا عن المدينة وحدها. والعثور على أرض مألوفاً لا يعني أنني توقفت عن الاكتشاف.



علامة الطعام الحلال بوصفها دليلاً

٩ الألفة بمذاق مختلف

في لحظة تعب اتجهت إلى بيتزا هت. وعدني الاسم المألوف بقرار لا يحتاج إلى شرح طويل. يجعل السفر مثل هذه الوعود جذابة على نحو خاص؛ أحياناً يريد الإنسان وجبة، وأحياناً يريد إجازة قصيرة من تفسير كل شيء.

لكن الالفة المعروفة لم تقديني إلى تجربة مطابقة لما أعرفه. إضافات من المأكولات البحرية، ونكهات غير متوقعة، ومشروبات لا تستقر بسهولة في تصنيفاتي المعتادة. كان الاسم مألوفاً، وبقي اللقاء خاصاً بيكين.

كانت المفاجأة صغيرة، ولطيفة قياساً إلى صعوبات أخرى. لكنها هزت افتراضاً يستحق أن يهتز: أن الأسماء الدولية تصنع جزراً متطابقة أينما ظهرت. يستطيع المطعم أن يسافر ويتغير، كما يفعل زبائنه.

وجدت شيئاً من الفكاهة في بحثي عن المتوقع. قطعت مسافة بعيدة للقاء ثقافة أخرى، ثم تمنيت أحياناً أن يعفني العشاء من هذا اللقاء. أعادتني القائمة المختلفة خلف الالفة المألوفة، برفق، إلى معنى الرحلة. حتى الملجأ الصغير قد يصبح درساً في الذوق المحلي.

١٠ تعلم المدينة تحت الأرض

ظهر المترو لي أول الأمر حركة بلا غلط يمكن قراءته. تتقاطع الخطوط، ويسرع الناس، ويبدو إيقاع القرارات ملكاً للجميع إلا الزائر الذي يحاول فهم الموضع الذي يقف فيه والاتجاه الذي ينبغي أن يسلكه.

كان الارتباك حقيقياً، لكنه لم يظل كما هو. بعد محاولات بدأت أرى التكرار داخل النظام. صار الطريق الذي بدا لغزاً مجرداً سلسلة يمكن اتباعها. وحل التعرف على بعض العلامات محل قدر من الإجهاد.

لم يقع تحول درامي في شبكة المترو بين تجربة وأخرى. كان التغير الأكبر في قراءتي لها. اكتسبت مهارات صغيرة تجعل المدينة أقل استعصاء: الانتباه إلى الاتجاه، ومنح النفس وقتاً، وملاحظة ما يعرفه سائر الركاب بالفعل.

ثمة متعة خاصة في القدرة على إنجاز رحلة عادية. لا يقام لها نصب، لكنها قد تبدو لصاحبها انتصاراً شخصياً متواضعاً. علمني المترو أن التكيف ليس دائماً فكرة ثقافية كبرى؛ أحياناً لا يزيد على المسافة بين الوقوف أمام نظام غامض والعثور على طريق داخل ذلك النظام.

١١ غريب روماني وسيارة منتظرة

عادت حدود ثقتي الرقمية حين حاولت استخدام ديدي. مهمة تبدو عادية من حيث المبدأ صارت صعبة في التطبيق. وقفت اللغة والنظام غير المؤلف بيني وبين الفعل البسيط: ترتيب سيارة تنقلني.

في إحدى اللحظات تعطلت حركتي. واستمرت الرحلة لأن مسافراً رومانياً ساعدني على استخدام التطبيق والحصول على وسيلة انتقال. عرف من النظام ما يكفي ليصل بين الضفتين اللتين عجزت عن وصلهما.

يحتل الموقف مساحة صغيرة إلى جانب قصر شهير أو سور عظيم، لكن الذاكرة لا توزع الأهمية وفق حجم المعالم. يستطيع شخص يقدم العون في اللحظة المناسبة أن يصبح واحداً من أوضح الوجوه في الرحلة.

وقد عقد ذلك الحكاية القائمة التي كان يمكن أن أرويها بعد بيت الشاي. بقي الحذر ضرورياً، لكن الشك لا يصلح أن يكون الدرس الوحيد. جعل غريب الانفتاح مكلفاً، وجعل آخر الاعتماد على المساعدة أهون. إنصاف التجربة يقتضي تذكر الاثنين. لم يكن التواصل الإنساني ضماناً في ذاته ولا نخاً في ذاته؛ احتاج إلى انتباه، وأتاح أحياناً ما كنت أحتاجه بالضبط.

بكين ٢٠١٨

١٢ الفندق وجواز السفر

يعد الفندق بالراحة، لكن الوصول لا يبدأ دائماً بالغرفة. في رحلتي جعل فحص جواز السفر والتأشيرة التسجيل جزءاً ظاهراً من اللقاء. لم أكن ضيفاً يحمل حقيبة فحسب، بل شخصاً ينبغي التعامل مع وثائقه أيضاً.

رُفض تسجيلي في أحد الفنادق لأنني أجنبي. وفي ملاحظاتي تداخل الرفض مع أسئلة التسجيل، وأنواع النزلاء الذين تقبلهم المنشآت المختلفة. ما شغلني في اللحظة نفسها لم يكن التفسير بقدر ما كان النتيجة العملية: مكان يبدو متاحاً، لكنه غير متاح لي.

هز الموقف افتراضاً بسيطاً: أن المسافر الذي يدفع يستطيع الاستقرار حيث تعرض عليه غرفة. كان عليّ أن أحسب حساب متطلبات لم أفهمها بعد، والفارق بين الخدمة التي أتوقعها والخدمة التي تستطيع منشأة بعينها تقديمها.

أحتفظ بالموقف ضمن ترتيبات زيارتي عام ٢٠١٨، لا بوصفه وصفاً دائماً لكل فندق. أما درسه الأوسع فكان في الاستعداد. الرغبة في حرية الحركة شيء، ومعرفة ما تطلبه الرحلة من وثائق شيء آخر.



بكين ٢٠١٨

١٣ على حافة مدينة الدفع الرقمي

استطاعت أنظمة الدفع التي أدهشتني أن تتركني خارجها أيضاً. رموز الاستجابة السريعة وتطبيقات الهاتف تجعل المعاملة تبدو سهلة لمن يعرف استخدامها. أما بالنسبة إليّ، فكانت سهولة التبادل الظاهرة تكشف أحياناً صعوبة جديدة.

لا يتحول النظام المتقدم تلقائياً إلى نظام متاح لكل زائر. البطاقة المعروفة، وبعض النقد، والثقة بأن أحدهما ستؤدي الغرض؛ لم تكن كافية دائماً لجعل اللحظة مريحة. عرفت في الرحلة توتر من لا يعرف أي أداة ستفعله في مكان معين.

اتصلت التجربة بمشكلة المواصلات والتطبيقات. لم يكن الدخول إلى النظام مجرد امتلاك هاتف؛ بل فهم بيئة من اللغة والحسابات والعادات المحلية، لا يحتاج مستخدموها المعتادون إلى شرحها لأنفسهم.

بدأت ألاحظ كيف تخفي الراحة شروطها. مشاهدة شخص ينهي معاملته في ثوانٍ تختلف عن القدرة على إنجازها بنفسك. كان هذا من أقل دروس الرحلة قابلية للتصوير الجميل، ومن أكثرها بقاء في الذاكرة. جعلني أرى العمل الخفي الذي يسمح للحياة العادية بأن تبدو بسيطة.

١٤ الجسد وتوقعاته

لا يسافر العقل وحده. يسأل الجسد عن الهواء والطعام والراحة والخصوصية قبل أن ينتهي المسافر من تكوين رأي في الثقافة. كانت هذه الأسئلة جزءاً من رحلتي في بكين، لا مقاطعة لموضوعات يظن أنها أهم.

فاجأتني بعض دورات المياه العامة لأن مقدار الخصوصية فيها اختلف عما أتوقعه. مرافق قديمة وترتيبات غير مألوفة جعلت حاجة عادية لقاء غير مريح. سجلت ملاحظاتي الصدمة بوضوح. وعند التأمل أردت أن أبقى الموقف محدداً، وألا أحوله إلى حكم على بلد كامل.

ظهرت في مشهد الرحلة كذلك ممارسات الطب التقليدي والتدليك: الأعشاب والوخز بالإبر والوعد بالراحة. لم يلغ الاهتمام ضرورة التقدير. فالخدمة التي تقدم بوصفها تجربة ثقافية تظل خدمة تستحق معرفة شروطها ومدى موثوقيتها.

عقدت التفاصيل الأقل احتفاء الصورة الرومانسية السهلة للسفر. الشخص الذي يعجب بقصر هو نفسه الذي يحتاج إلى موضع مريح يستريح فيه. الاعتراف بحضور هذا الجسد لا يقلل من الرحلة؛ بل يذكرنا بمن يقوم بها بالفعل.

١٥ القواعد الهادئة بين الناس

لم تكن بعض القواعد التي شعرت بها بوضوح مكتوبة في موضع أستطيع قراءته. ظهرت في إيقاع التعامل، والمسافة التي يحتفظ بها الناس، والتغير الخفيف في الجو حين يختل ترتيب يفهمه الآخرون.

تحدثت ملاحظاتي عن الاحترام والتحفظ والانتباه إلى الجماعة. كانت محاولات لوصف ما رأيته، لا مفتاحاً يفتح كل شخصية صينية. قد يكون اللقاء الصامت تفسيرات كثيرة، وقد حجت لغتي المحدودة بعض تلك التفسيرات عني.

مع ذلك تغير سلوكي. صرت أراقب وقتاً أطول قبل أن أقترح أنني أعرف ما يطلبه الموقف. لم يمح التكيف الضيق، لكنه جعلني أقل سرعة في اعتبار ضيقي دليلاً على خطأ الآخر.

كان ذلك تصحيحاً مهماً لمن يدرس الثقافة. تنفع المفاهيم إلى أن تحل محل النظر. الشخص الذي أمامنا لا ينفد معناه داخل تصنيف. طلبت مني بكين أن أصل بين مفرداتي المهنية والانضباط المتواضع للضيف: أن ألاحظ وأصغي، وأن أترك احتمالاً بأن التفسير الأول ناقص.

بكين ٢٠١٨

١٦ ما وراء الصمت

حين أجمع الرحلة في الذاكرة تبقى المعالم، لكنها لا تقف وحدها، إلى جوار السور
جموع الزائرين، وإلى جوار أكواب الشاي الفاتورة، وإلى جوار تطبيق عجزت عنه
المسافر الروماني الذي ساعدني. تصوير المدينة أوضح حين أسمح لهذه القطع غير
المتساوية أن تبقى معاً.

تكررت في ملاحظاتي الأولى عبارة أن الصين نظام ندخله، وليست مجرد بلد
نزوره. التقطت العبارة شعوراً حقيقياً بالحاجة إلى التكيف والاعتماد على الغير.
لكن الشعور ليس المكان كله. فقدمت بكين أيضاً جمالاً ولطفاً عادياً ومذاقاً محلياً
وأحياء تقاوم التفسير الواحد.

وصلت مستعداً للملاحظة، ثم أدركت أن الملاحظ نفسه يحتاج إلى تأمل. ما
الذي توقعت أن يعمل بلا شرح؟ وأي وسائل الراحة حسبته ترتيبات عالمية؟ متى
جعلتني الرغبة في الأصالة أقل حذراً؟ ومتى كاد الحذر أن يغلق باب لقاء يستحق
أن يحدث؟

تلك هي الأسئلة التي أحملها إلى ما وراء الصمت. لم يمنحني السفر حق تلخيص
أمة؛ منحني مهمة أصعب وأنفع: أن أصف بصدق الجزء الذي التقيته، وأن
أتعرف إلى التغير الذي أحدثه في الشخص الذي كان ينظر.

كلمات بقيت في الذاكرة

ليست الكلمات التالية مقررًا في اللغة، بل إشارات صغيرة صاحبت محاولة فهم الحياة اليومية. كُتبت بالنقل اللاتيني لتيسير قراءتها.

Nǐ hǎo

مرحباً

Xièxiè

شكراً

Duōshǎo qián?

كم الثمن؟

Qīngzhēn

حلال

Wǒ bù dǒng

لا أفهم

Tài guì le

غالي الثمن جداً

عن المؤلف

د. وجيه الجوهرى معلم وفنان ومؤسس مؤسسة ثقافات العالم والتعليم WCE. يجمع عمله بين تعليم اللغة العربية، والتفاهم الثقافي، والفنون البصرية، وتطوير المواد التعليمية.

يحمل الدكتوراه في التنظيم والإدارة، والدكتوراه في القيادة التعليمية، والماجستير في الإدارة والقيادة، والبكالوريوس في الفنون الجميلة.

ينظر إلى السفر بوصفه مجالاً للإنصات والملاحظة ومراجعة المسلمات. وتأتي هذه الرحلة إلى بكين عند التقاء اهتمامه باللغة والثقافة والحياة اليومية.



World Cultures & Education

mywce.org

DrE@mywce.org

الصين قبل الصمت

في بكين، قد تبدأ الحكاية أمام قصر، وقد تبدأ بسؤال عن سيارة أو وجبة أو فاتورة شاي.

رحلة شخصية إلى الصين عام ٢٠١٨، يلتقي فيها نظر الفنان بفضول المعلم. بين المدينة المحرمة وسور الصين والأزقة القديمة، وبين اللغة والطعام والمواصلات، يعيد المسافر ترتيب علاقته بما يعرفه وما يظن أنه يعرفه.

كتاب عن الدهشة والحذر واللفظ، وعن مدينة لا تكشف كلها دفعة واحدة.

WORLD CULTURES & EDUCATION

mywce.org

DrE@mywce.org